مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
العدد الخامس والعشرون - المجلد الثاني - التاريخ - آذار 2025 م
doi.org/10.52866/esj.2025.02.25.06

البيمارستانات
وتطورها في الدولة العربية الإسلامية

لينا كريم اسود ، د. اركان طه عبد
جامعه تكريت/ كلية التربية للبنات - قسم التاريخ
lina.Karim23@st.edu.iq

مستخلص:

البيمارستانات هي إحدى المنشآت والعمائر كالمساجد والتكايا والقباب والمدارس التي كان يشيدها الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء وأهل الخير على العموم صدقة وحسبة وخدمة للإنسانية وتخليدًا لذكراهم، ولم تكن مهمة هذه البيمارستانات قاصرة على مداواة المرضى، بل كانت في نفس الوقت معاهد علمية ومدارس لتعليم الطب، يتخرج منها المتطببون والجراحون «الجرائحيون» والكحالون كما يتخرجون اليوم من مدارس الطب.

الكلمات المفتاحية: البيمارستانات، الدولة العربية الاسلامية.

Bimaristans
and their development in the Arab Islamic state

lina karim aswd , D. Arkan Taha Abdel
Tikrit University/College of Education for Girls,
Department of History

Abstract:

Bimaristans are one of the facilities and buildings such as mosques, hospices, domes, schools, etc., which were built by caliphs, sultans, kings, princes, and philanthropists in general, out of charity, charity, service to humanity, and in commemoration of their memory. The mission of these bimaristans was not limited to treating patients. Rather, they were at the same time scientific institutes and schools for teaching medicine, from which doctors, surgeons, and estheticians graduated, just as they graduate from medical schools today.

Keywords: Bimaristan, the Arab Islamic state.

المقدمة

تعد قضية تطور البيمارستانات في البلاد العربية الإسلامية جانبا حضاريا مهما، وهذه المباني الحضارية الضخمة ظهرت وتطورت بشكل كبير، وأصبحت مظهرا للتحدي في العلم والتراث والنظافة والجمال، وقد قدم الخلفاء والعلماء جهودا جبارة لبناء وتطوير البيمارستانات واستخدام أشهر الأطباء لها.

والبيمارستانات هي إحدى المنشآت العمرانية كالمساجد والتكايا والمدارس التي شيدها وطورها المسلمون، وبذلوا الكثير من الأوقاف عليها، وكان من ثمارها أن تطور الطب الإسلامي وأصبح أكثر دقة ومهنية. لذا اعتنى العرب بإنشائها، وجعلوا الرعاية الطبية في البيمارستان حقاً لكل المواطنين، ودفعهم ذلك إلى الاستعانة بالكثير من أطباء الفرس والروم، واستفادوا من نظام البيمارستانات الموجودة في بلادهم مثل: بيمارستان جنديسابور فانتشرت البيمارستانات من بغداد شرقاً حتى الأندلس غرباً، فكان تطورها يعني تطور الطب في العالم الإسلامي، سواء كانت هذه البيمارستانات ثابتة أم متنقلة، فالثابت منها ما كان قد بني من المدن أو حي من أحيائها، أما المتنقل فهو الذي يحمل من مكان إلى آخر حسب الظروف والأمراض والأماكن التي تنتشر بها الأوبئة أو مناطق الحروب والصراعات.

البيمارستانات
وتطورها في الدولة العربية الإسلامية

اهتمت الدولة الإسلامية بالعلوم الطبية، فدستورها يعد القرآن الكريم فيه الكثير من الآيات الدالة على الاهتمام بصحة الإنسان من جوانبها المختلفة، كما أن الأحاديث النبوية ركزت على هذا الأمر، ونجد أن هناك أكثر من ثلاثمائة حديث طبي نبوي تهتم بصحة الإنسان وعلاجه من الأمراض التي قد يصاب بها[1] .

لذا اعتنى المسلمون بهذا الجانب من رعاية وعلاج المرضى، ويتضح ذلك من خلال الطب النبوي، ولعل كثرة الاهتمام بالبيمارستانات في التاريخ الإسلامي تعود لخطة الخلفاء وهي أفاضة النعمة على الرعية حتى يتمتع الجميع بدرجات متقاربة من رغد العيش ورفاهية الحياة وبسبب آيات الرحمة، فكان القرآن الكريم الروح التي تبعث الخير والرحمة على البشر ولتخليص الفقراء من الحاجة والمرضى من المرض[2]، كما اهتمت الدولة الإسلامية بصحة الإنسان في جميع أحواله، في حالات السلم كما هو في حالات الحرب وتعد البيمارستانات مأوى الضعفاء، وأصحاب العاهات و المزمنة، وهذا من دلائل ارتقاء الإنسان في العطف على الآخرين[3] ودليل على التقدم الحضاري عند المسلمين، فكانت الأهداف والغايات التي تنشدها رسالة البيمارستانات الإسلامية نبيلة؛ سامية لا يقصد من ورائها إلا خدمة المجتمع والإنسانية والمحافظة على الصحة ومداواة المرضي، أي حفظ

(1) الطب النبوي، هو مجموعة من الأحاديث النبوية وبلغ عددها نحو ثلاثمائة حديث جمعت بعد وفاة الرسول ﷺ، وتحتوي على قواعد عامة لحفظ الصحة والاستحمام والأكل والشرب والزواج، وللمزيد ينظر: الجامع الصحاح للإمام البخاري، وسنن الترمذي للترمذي وشرح صحيح مسلم للنووي.

(2) كامل، رفاه محمد، بيمارستان ارغون الكامل المملوكي، دار رحمة وشفاء»، السعودية، مجلة الفيصل، ع 277 ، 1959م، ص 90.

(3) كرد، علي محمد، خطط الشام، بيروت،(دار العلم للملايين، 1983، ص 156.

الصحة على الأصحاء واستردادها امن سلبت منه بمعالجة المريض من مرضه [1] .

لقد كانت البيمارستانات الإسلامية من مفاخر الحضارة العربية الإسلامية، وسبقت بها غيرها من الحضارات [2] والعالم الإسلامي نموذج حضاري سامي في تطور البيمارستانات فقد تطور مفهوم الحاجة والمساعدة الاجتماعية إلى بناء البيمارستانات والمؤسسات الاجتماعية الأخرى مثل الخانات والحمامات والسبل [3] .

واهتمت الحضارة الإسلامية وبخاصة في العهد العباسي بالبيمارستانات لعلاج المرضي فكان الأهالي على اختلاف مشاربهم يحضرون للبيمارستانات للتداوي وتلقي العلاج، فكانت البيمارستانات تستقبل المرضى دون تمييز بين غني وفقير وبين مواطن وغريب، وفي العيادة الخارجية التي كانت ملحقة بالبيمارستانات ، يفحص المرضى ، وتصرف لهم الأدوية، أو تجري لهم العمليات الجراحية الصغيرة، أو يحصلون على الخدمة الطبية التي لا يحتاج الأمر فيها إلى دواء أو مبضع ، مثل جبر الكسور أو التدليك أو الكي ، وغيرها من الخدمات الطبية[4] وبلغ من عظمة الحضارة الإسلامية أن يعامل أهل الذمة من اليهود والنصارى معاملة المسلمين في العلاج بالبيمارستانات أسوة بالمسلمين،

(1) السعيد، عبد الله عبد الرازق، المستشفيات الإسلامية من العصر النبوي إلى العصر العثماني، الأردن، دار ضياء للنشر والتوزيع ، 1987م.ص 132.

(2) غوانمة، يوسف درويش ، التاريخ الحضاري الشرق الأردن في العصر المملوكي، الأردن دار الفكر، 1982م، ص 166.

(3) غوانمة، يوسف درويش ، التاريخ الحضاري الشرق الأردن في العصر المملوكي، ص 167.

(4) ابن أبي أصيبعة ، عيون، ص 117

فقد ورد عن سنان بن ثابت مسؤول الشؤون الصحية في خلافة المقتدر بالله العباسي (295-320هـ / 932-907م) ، أنه ورد إليه توقيع من الوزير على بن عيسى الجراح يقول فيه أن ينفذ الى السواد (بالعراق) متطببين (أطباء) وخزنة للأدوية والأشربة بطوفون فيه ، ويقيمون في كل صقع منه مدة ما تدعو المعالجة إليه، ففعل ، "ولما انتهت البعثة الطبية إلى سورا على أهلها من اليهود ، كتب سنان بن ثابت الى الوزير علي بن عيسى يعرفه بورود كتاب من السواد يذكر فيه كثرة المرضى وأن أكثرهم حول نهر الملك يهود. ويطلب رأيه في معالجتهم ، وأعلمه أن رسم البيمارستان أن يعالج فيه أهل الذمة ويسأل أن يرسم له في ذلك ما يعمل عليه، فأجابه الوزير علي بن عيسى "ليس بيننا خلاف في أن معالجة أهل الذمة والبهائم صواب، ولكن الذي يجب تقديمه والعمل به معالجة الناس قبل البهائم والمسلمين قبل أهل الذمة [5] .

ومن حيث الأغذية فقد كان يقدم للمرضى الطعام مثل الدجاج والخضروات والفاكهة والحساء والخبز إلخ ، وكان يلحق بالبيمارستانات المطابخ، كما هو الحال الآن، وكان يتم الإشرف على غذاء المرضى وكافة وسائل راحتهم، كما كان يتم تغطية غذاء المرضى حتى لا يتلوث، وكانت هناك أماكن مستقلة لكل مريض يستعملها في غذائه وشرابه لا يشاركه فيها غيره فضلا عن فراشه المستقل وإتماماً لرسالة البيمارستان الاجتماعية ، كان يوفر الكساء للمرضى، ملا بس لليل وأخرى للنهار للرجال والنساء على السواء، وكثيراً ما كانت إدارة البيمارستان تعطي للمعاقين من الفقراء ما يساعدهم على كسب قوتهم بعد الشفاء والخروج

(5) ابن الجوزي : المنتظم ، ج7، ص 76.

من البيمارستان[1] .

كما أن البيمارستانات الإسلامية جمعت بين جنباتها العديد من المهام، فهي كانت أماكن للتدريس الفقهي والاهتمام بالقرآن وعلومه إلى جانب الاهتمام بالعلوم الطبية، وعليه نجد أن المستشفيات الإسلامية حوت العديد من الأقسام والعديد من الموظفين والذين ليسوا بالضرورة من رجال الطب، بل منهم من يقوم بالحرص على أداء الشعائر الدينية في أوقاتها، ومنهم من يتولى الدعاء، وتطور الأمر حتى شملت البيمارستانات قاعات أخرى للقصص والروايات والموسيقى تأكيداً للعملية العلاجية المتكاملة التي تهتم بصحة المريض وحالته النفسية والروحية[2].

أولاً: البيمارستانات في عهد رسول الله ﷺ والخلفاء الراشدين:

عندما أرسل الله محمداً ﷺ رحمة للعالمين، اهتم بحفظ الصحة، فأمر بالنظافة والتداوي من الأمراض، ووالأكل متكناً والشرب من فم القربة أو النفخ فيها [3].

وورد عنه ما يفيد بمدى الاهتمام بالرعاية الصحية للإنسان والتركيز على الوقاية من الأمراض، وكان الطب في صدر الإسلام يهتم بوقاية الإنسان من العدوى والأمراض. ولذلك لا غرابة أن نجد الرسول ﷺ يعتني بصحة الجنود المجاهدين المسلمين، وتأتي الروايات مؤكدة ذلك، ومرجعة إياه إلى أيام غزوة الخندق في السنة الخامسة للهجرة حيث أسس ما يمكن اعتباره أول بيمارستان عسكري أو حربي، ومن اللافت للنظر والعناية أن إدارته الفاعلة كانت لإحدى النساء المسلمات وهي رفيدة الانصارية[4] ومع هذا الاهتمام والإشارات الواردة عن الاهتمام بصحة الإنسان ومداواته فان البيمارستانات في عهد رسول الله ﷺ كانت بسيطة تتمثل في خيمة متنقلة يداوى فيها الجرحى والمرضى، تحمل من مكان إلى آخر[5] وقد عولج سعد بن معاذ [6] في خيمة رفيدة الانصارية[7] يروى عن سعد بن أبي وقاص [8] رضي الله عنه، أنه مرض بمكة، فعاده رسول الله ﷺ، فقال ادعوا له الحرث بن كلدة [9]، فأنه رجل

(1) ابن الجوزي، المنتظم ، ج7، ص 76.

(2) ابن الجوزي، المنتظم، ج7، ص 77.

(3) النووي، محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف (ت 676هـ/ 1277م)، رياض الصالحين، تح، على عبد الحميد، عمان، الأردن، دار النفائس ، 1412هـ/ 1991م، ص 265 – 266.

(4) هي أول ممرضة في الإسلام كانت لها خيمة في مسجد النبي ﷺ تداوي فيه المرضى،للمزيد ينظر البخاري في أداب المفردة ، ص 1129.

(5) ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء، ص 159.

(6) هو من صحابة رسول الله ﷺ، شهد بدراً وشهد أحداً، والخندق، توفي بعد غزوة الخندق وللمزيد ينظر: ابن الأثير، أبي الحسن علي بن محمد الشيباني (ت 630هـ/ 1233م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح، محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور وآخرون ، بيروت، لبنان، مج 2، 1390هـ/ 1970م، ص 373.

(7) الطبري، محمد بن جرير (ت310ه/ 923م)، تاريخ الأمم والملوك ، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، بيروت، دار التراث، مج،2 1384هـ/ 1964م، ص 586.

(8) هو من صحابة رسول الله ﷺ (ت54هـ/ 675م) ، قاد معركة القادسية وفتح مدائن كسرى، وللمزيد انظر: ابن الأثير، أسد الغابة، مج2، ص 410. الكاند، هلوي، محمد يوسف، حياة الصحابة بيروت، لبنان، دار المعرفة، مج1، 1406هـ/ 1986م، ص 535، خالد، محمد خالد، رجال حول الرسول ،بيروت لبنان دار مكتبة الحياة، 1420هـ/ 1999م، ص 142.

(9) لحارث بن كلده بن عمر الثقفي، طبيب العرب اخذ الطلب من بلاد فارس، توفي في خلافة عمر بن الخطاب، ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، من 161– 165.

يتطيب[1] ومن الأطباء في عهد رسول الله ﷺ النضر بن الحرث بن كلده وكان كثير الأذى والحسد للنبي ﷺ[2] ، وذكر أن الحرث بن كلده أسلم واستمر في مداواة المسلمين إلى أن توفي [3] وممن مارس الطب في عهد رسول الله ﷺ ابن أبي رملة التميمي [4] . وكانت عائشة (ت 57هـ / 676م) زوجة رسول الله ﷺ وابنة أبي بكر الصديق لها علم بالطب، وعندما سألها عروة بن الزبير (ت94هـ / 713م) من أين تعلمت الطب، قالت: كنت أسمع الناس ينعت بعضهم لبعض فاحفظه[5]

وبعد وفاة رسول الله ﷺ، سار الخلفاء الراشدون على سياسته واستمر الأطباء بمزاولة أعمالهم، واستمرت البيمارستانات الحربية في عهد الخلفاء الراشدين، وخاصة أن هذا العهد كان فيه من الفتوح ما استدعى خوض العديد من الحروب بما يسبب ذلك من تزايد في أعداد الجرحى، كما أن عمليات الفتح وتغير البيئات كان يؤثر على الفاتحين ولا والمستقرين مما جلب زيادة الاهتمام بالصحة خوفا من انتشار الأوبئة والأمراض. ومن الذين مارسوا الطب في العهد الراشدي الطبيب الحكم الدمشقي[6]، ويعرف من يمارس الطب في هذه الفترة بالمتطبب [7] . لكن الشواهد التاريخية والأثرية لم تدل على بناء بيمارستان ثابت متكامل في هذه الفترة الأسباب متعددة من أهمها الأحداث العسكرية والسياسية، وقصر الفترة الزمنية لحكم الخلفاء.

ثانياً: البيمارستانات في عهد الدولة الأموية

وفي عهد الدولة الأموية (41 – 132 هـ / 661 – 750م)، زاد الاهتمام بتوفير الخدمات الصحية للناس، واهتم معاوية بن أبي سفيان (ت 60هـ / 680م) مؤسس الدولة الأموية بالأطباء وقربهم منه، وكان ابن اثال النصراني من الأطباء المتميزين في دمشق [8] وله خبرة ومعرفة بالأدوية المفردة ومعالجة المسموم وكان من أطباء معاوية بن أبي سفيان[9] وقد أشارت بعض المصادر إلى أن أول بناء البيمارستانات في الدولة الأموية كان في مدينة دمشق، ويجعلون ذلك إلى فترة الخليفة الأموي الأول معاوية

(1) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ، ص 161
(2) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 167
(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ص 363-362
(4) هو طبيب اهتم بالطب اليدوي وصناعة الجراحة، وللمزيد ينظر ابن ابي اصبيعة، عيون الانباء، ص 170 – 171.
(5) ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت 597هـ-1201م) ، صفوة الصفوة، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، مج2، 1413هـ / 1991م، ص 138، عيسى، البيمارستانات، ص 6-5.
(6) ابن القفطي، أخبار الحكماء، ص112-111. ابن أبي أصيبعة عيون الأنباء، ص 165-161.
(7) المتطيب لقب أطلق على الطبيب في الجاهلية وبدايات الدولة الإسلامية، وقد تعلم عددا من العرب صناعة الطب في البلاد المجاورة للجزيرة العربية وخاصة بلاد فارس، عيسى، البيمارستانات، ص7.
(8) ابن أثال طبيب نصراني اشتهر في أوائل الإسلام بدمشق ولما ملك معاوية بن ابي سفيان سنة (41هـ – 661م) الحكم اصطفاه لنفسه وكان كثيرا الاعتماد وكان لبن اثال خبيراً بالأدوية المفردة والمركبة وقواها وسمومها . وقد اتهم ابن أثال بأنه لبى طلب معاوية فأعد شربة مسمومة سقاها عبد الرحمن بن خالد بن الوليد لتحصل بموته المبايعة لابنه يزيد فثأر له ابن أخيه أبان كمن له مع أحد أنصاره وراء اسطوانة في مسجد دمشق حتى اخرج ليلاً من مجلس معاوية وكان يسمر عنده هجم عليه خالد فقتله، ابن أبي اصيبمة، عيون الأنباء، ص 173-171 ، فروغ عمر، تاريخ العلوم عند العرب، بيروت، لبنان، دار العلم
(9) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 175.

بن أبي سفيان وإلى عهد ابنه يزيد[1] وهو البيمارستان الصغير[2]، إلا أن المصادر تتفق على أن أول من اتخذ البيمارستانات في الشام للمرضى هو الوليد بن عبد الملك[3]. وكان ذلك في سنة (88هـ / 706)[4]، وكانت أوامر الخليفة الوليد بن عبد الملك بأن تتم المصابين معالجة المرضى في البيمارستان مع توفير الأرزاق لهم، كما أخذ بعين الاعتبار منع المصاب بالأمراض المعدية من الخروج من البيمارستان خوفاً من انتقال المرض، وفي سبيل ذلك خصص مكاناً معيناً للمرضى المجذومين[5]، كما وفر المساعدة للمرضى الذين يعجزون عن الحركة، حيث جعل لكل مقعد خادماً ولكل ضرير قائداً[6] كما احتوى هذا البيمارستان على أقسام خاصة بالرجال وأخرى للنساء[7]، مراعين في ذلك التقاليد الإسلامية، كما شهد العصر الأموي اهتمام الخليفة عمر بن عبد العزيز (ت 101هـ / 719م) بصحة الناس وتوفير الرعاية لهم وتخليصهم مما يؤثر على صحتهم البدنية والنفسية، وفي سبيل ذلك يذكر أن هذا الخليفة قد حارب فقر الناس وجهلهم وأمراضهم، كما استعان بشخصيات كانت لها دور هام في الطب، ومنهم ابن أبحر الكناني[8]- الذي نقل تدريس علم الطلب إلى بلاد المسلمين[9]. وقد اهتمت الدولة الأموية بالعلوم الطبية وترجمتها، وقد اشتهر ذلك منذ عهد خالد بن يزيد بن معاوية (63هـ / 882م)، الذي زهد في الخلافة وعشق العلم[10]. وقد شهد هذا العصر بروز العديد من الأطباء الذين برزوا في

(1) هو يزيد بن معاوية، تولى الخلافة (60هـ- 64هـ) وكان عهده ملى بالأحداث السياسية والفتن بين المسلمين، الطبري، تاريخ الطبري، مج9، ص 500-499.

(2) ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد الدمشقي (ت 1089هـ - 1678 م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب: تح: مصطفى عبد القادر، بيروت، لبنان، (دار الكتب العلمية مج 5، 1985م، ص 165.

(3) الطبري، تاريخ الرسل، مج9، ص 437، ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت 630 هـ/ 1223م)، الكامل في التاريخ، تح: أبو الفداء، عبدالله القاضي، بيروت، (دار الكتاب العربي، 1407هـ/ 1987م، مج 4، ص 533، المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر، (بيروت، لبنان)، دار الكتب العلمية، مج2، 1418هـ/ 1997م، ص 405.

(4) الطبري، تاريخ الرسل، مج6، ص 437، عيسى، البيمارستانات، ص 10، غوانمة، يوسف درويش، تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، الزرقاء، الأردن، دار الحياة، 1402هـ / 1982م، ص 2316 .

(5) هم المصابون بمرض الجذام، وهو مرض معدي يسبب ظهور أورام على الجسم، ويقع على سطح الجلد سيئة المنظر، وللمزيد ينظر: بيرم عبد الحسين، الموسوعة الطبية العربية، بغداد، العراق، (دار القادسية 1406 هـ/ 1986م، ص109-108.

(6) الطبري، تاريخ، مج6، ص 437، السعيد المستشفيات الإسلامية، ص80.

(7) ابن دقماق إبراهيم ابن محمد، (ت 809هـ/ 1406م)، الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرفيتها، تح: لجنة إحياء التراث العربي، القاهرة، مصر، (دار الآفاق الجديدة، مج4، 1397هـ/ 1977م، ص 99.

(8) كانَ طَبِيبا عَالما ماهرا وَكَانَ فِي أول أمره مُقيما فِي الْإِسْكَنْدَرِيَّة لِأَنَّهُ كَانَ الْمُتَوَلِي فِي التدريس بهَا من بعد الإسكندرانيين الَّذين تقدم ذكرهم وَذَلِكَ عِنْدَمَا كَانَت الْبِلَاد فِي ذَلِك الْوَقْت لملوك النَّصَارَى، ابن أبي أصبيعة عيون الأنباء، ص 171.

(9) ابن أبي أصبيعة، عيون الأنباء، ص 492، سيد الأهل، عبد العزيز، الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز، بيروت، (دار العلم للملايين، 1397هـ/ 1977م، ص 217

(10) الدفاع، علي عبد الله، أعلام العرب والمسلمين في الطب، بيروت، (مؤسسة الرسالة 1403هـ/ 1983م، ص27.

مجالات عديدة منهم، الطبيب تياذوق [1] والطبيب تياذوق الذي اشتهر في صدر الدولة الأموية[2] واختص في خدمة الحجاج بن يوسف الثقفي (-40 95هـ/ 660-714 م)، ومن تلاميذه الطبيب فرات بن شحنانا طبيب عيسى بن موسى الذي مات زمن الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور (ت136 هـ/ 773م)[3] وكان تياذوق يوضح للحجاج دوماً ما يضر الصحة وما ينفعها، وكان له (راتب دوري) من الحجاج [4] والطبي الحكم بن الحكم الدمشقي [5]وكان أبوه طبيبا لمعاوية بن أبي سفيان واشتهر بتركيب الأدوية وعاش نحو مائة سنة، وعاصر الخليفة عبد الملك بن مروان (684-65هـ/ -705 886م)، وكانت له طرق في وقف نزيف الدم، واعتمد على طبه في معالجة أهل بيت الخليفة)[6] والطبيب ماسرجوية الإسرائيلي، الذي عرف في زمن الخليفة عمر بن عبد العزيز (ت 101هـ/ 719م)، وكان عالماً بالطب وله اهتمام بترجمة الكتب[7] كما اشتهرت في العهد الأموي طبيبة بني أود، واسمها زينب[8]، ولها معرفة بطرق العلاج ومداواة العين والتعامل مع الجروح[9].

لقد اتضحت في عصر الدولة الأموية الصورة لبداية البيمارستانات من خلال إقامة دور الجذام لحبس المرضى فيها ومعالجتهم، وإقامة مراكز إسعاف صغيرة في عهد معاوية بن أبي سفيان.

ثالثاً: البيمارستنانات في العصر العباسي

العصر العباسي من أزهى العصور الإسلامية الحضارية، فحين اعتلى العباسيون كرسي الحكم ازدهرت البيمارستانات بشكل كبير، وهذا يدل على مدى اهتمامهم بالعلوم الطبية وتشجيعهم للأطباء وتشييدهم للمدارس الطبية[10] التابعة للبيمارستانات،

(1) تياذوق : (ت90هـ/ 707م) طبيب عاش في أزل دولة بني أمية، وهو أقدر وأشهر الأطباء الأورام بدمشق في ممارسة الطب، اختص بخدمة الحجاج بن يوسف، ابن قتيبة ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276هـ/ 889م)، عيون الأخبار، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، مج3، 1373هـ/ 1955م، ص 270 .

(2) ابن النديم، أبو الفرج محمد بن اسحاق (ت 385هـ/ 995م)، الفهرست، بيروت، لبنان، دار المعرفة 1398هـ 1978م، ص 303 ، ابن أبي أصيبعة ،عيون الأنباء، ص 179.

(3) فرات بن شحنانا طبيب يهودي، اختص بخدمة عيسى بن موسى الذي كان يشاور هذا الطبيب في كل أمر ينويه ، وقد توفي هذا الطبيب في زمن أبو جعفر المنصور، ابن القفطي، أخبار الحكماء، ص 74.

(4) ابن النديم ، الفهرست، ص 303.

(٥) ابو الحكم كان طبيباً نصرانياً عالماً بأنواع العلاج والادوية وله أعمال مذكورة وصفات مشهورة وكان يستطبه معاوية بن ابي سفيان ويعتمد عليه في تركيبات الأدوية لأغراض قصدها منه، ابن القفطي، أخبار الحكماء، ص 123 .

(6) ابن القفطي، أخبار الحكماء، ص 123، القرني، أحمد حسين، قصة الطب عند العرب، القاهرة، مصر، الدار القومية الطباعة، 1403هـ/ 1983م، ص 67-66.

(7) الطبيب ماسرجوية عاش في أيام بني أمية، هو أول من ترجم وعرب ما أعجم، وهو الذي نقل كتاب كناش أهرن من السريانية إلى العربية ، ابن جلجل أبي داوود سليمان بن حسان الأندلسي (ت 384هـ/ 994م) ، طبقات الأطباء والحكماء، تح: فؤاد رشيد، القاهرة، مصر، (مطبعة المعهد العلمي للآثار الشرقية، 1375هـ/ 1955م، ص 67.

(8) زينب: طبيبة بني أود كانت عارفة بالأعمال الطبية خبيرة بالعلاج ومداوة الأم العين والجراحات، ابن ابي اصيبعة، عيون، ص 181.

(9) ابن أبي أصيبعة، عيون الأنباء، ص 181.

(10) القفطي، تاريخ الحكماء، ص164. ابن أبي أصيبعة، عيون، ص183

ودعوا إلى عقد المؤتمرات الطبية التي حضر إليها الأطباء من كافة البلاد والأقاليم التابعة للدولة[1]، وبدأت هذه البيمارستانات تأخذ شكلاً حضارياً فائقاً انتظمت بها مهنة الطب، وأصبحت مهنة مرموقة لا يعبث بها المحتالون والسحرة وأنصاف الأطباء[2] لذا تبارى الخلفاء والسلاطين والأمراء والنساء وأهل اليسار على تشيدها، وأشرفت عليها الأوقاف[3] بشكل مباشر، وهذا أول تطور يدخل على البيمارستانات كما ذكرت كتب التاريخ والرحالة، وتم تنظيم العمل بها، وتقسيمها إلى أقسام خاصة وأخرى عامة ليستفيد منها كافة أفراد الشعب صغاراً وكباراً، من مسلمين وأهل ذمة، أغنياء وفقراء[4] وبالتالي أصبحت كل مدينة بها بيمارستان كبير عام على الأقل، وروى أن أبا جعفر المنصور[5] أول خليفة عباسي (134هـ/ 749م) حث على إنشاء البيمارستانات، وأنشأ بيمارستان للعميان وداراً للأيتام والقواعد، وخصص مكاناً خاصاً للمجانين يتلقون فيه العلاج.[7] وتأسيس البيمارستانات في بغداد اعتبر فاتحة خير لإنشاء مدارس الطب، ولولاها لما تمكن الطب العربي من الوصول إلى الإبداع والابتكار، وكما أسلفنا أن البيمارستانات أصبحت أكثر تخصصاً في فروع الطب، فأصبح فيها الجرائحية[8]، والكحالة[9] والطبائعيون [10] والمجبرون[11] والنفسانيون[12]، وغيرها من أقسامه منها المسئولون عن أقسام للنساء وآخر للرجال، وبها الخدم والفراشون والممرضات والممرضون والمسئولون من رؤساء الأطباء، وذوي المراتب المختلفة، وصارت هذه المؤسسة تجذب حولها الأبنية السكنية والأسواق، والحارات الجديدة [13].

(1) لقفطي، تاريخ الحكماء، ص 102، 172 ابن أبي أصيبعة، عيون، ص188.

(2) الخطيب، الطب عند العرب، ص216.

(3) أبن تغردي بردي، ، النجوم، ج6، ص55.

(4) ابن الأثير، أبي الحسن محمد (ت630هـ/ 1233م) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تح: عبدالقادر طليمات، القاهرة، 1963م، ص171. الصفدي، الوافي بالوفيات، ج5، ص86.

(5) الخليفة أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي الهاشمي العباسي المنصور (ت775هـ/ 1373م) وأمه سلامة البربرية، ثاني خلفاء الدولة العباسية، وكان فحل بني العباس هيبة وشجاعة ، ورأيا وحزما ، ودهاء وجبروتا، وكان جماعا للمال ، حريصا ، تاركا للهو واللعب ، كامل العقل ، بعيد الغور ، حسن المشاركة في الفقه والأدب والعلم . للمزيد ينظر: ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، تح: على محمد عمر، القاهرة، (مكتبة الخانجي ، 2001، ج1، ص243. الذهبي، سير أعلام، ج11، ص570-568. القلقشندي، مأثر، ج1، ص175.

(7) ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج2، ص314

(8) الجرائحية هم من يقومون بالعمليات الجراحية، ابن أبي أصيبعة، عيون، ص 416.

(9) الكحالة: من يقومون بعلاج أمراض العيون، ابن أبي أصيبعة، عيون، ص416.

(10) الطبائعيون : المختصون بالأمراض الباطنية والداخلية. ابن أبي أصيبعة، عيون، ص416

(11) المجبرون: المختصون بالكسور وتجبيرها، ابن أبي أصيبعة، عيون، ص416.

(12) النفسانيون: المختصون بالأمراض النفسية والعقلية، البغدادي، تاريخ بغداد، ج3، ص185.

(13) العليمي، عبدالرحمن بن محمد، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، العراق، (المطبعة الحيدرية، ج2، 1968م، ص 53.

المصادر والمراجع

1. ابن أبي أصيبعة، موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي الخزرجي، (ت668 هـ / 1269)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، شرح وتحقيق: نزار رضاء، لبنان، (مكتبة الحياة ، 1385هـ / 1965م.
2. ابن الأثير، علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت 630 هـ / 1233م)، الكامل في التاريخ، تح: أبو الفداء، عبدالله القاضي، بيروت، (دار الكتاب العربي، 1407هـ / 1987م
3. ابن الأثير، أبي الحسن علي بن محمد الشيباني (ت 630هـ / 1233م)، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تح، محمد إبراهيم البنا ومحمد أحمد عاشور وآخرون، بيروت، لبنان، مج 2، 1390هـ / 1970م.
4. ابن الأثير، أبي الحسن محمد (ت630هـ/ 1233م) التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية، تح:
5. ابن الجوزي عبد الرحمن بن علي بن محمد(ت 597هـ- 1201م) ، صفوة الصفوة، بيروت، لبنان، دار الكتب العلمية، مج2، 1413هـ / 1991م.
6. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج، (ت595هـ/ 1200م) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، تح: محمد مصطفي عبدالقادر عطا، بيروت، (دار الكتب العلمية، ج9، 1995.
7. ابن العماد، شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد الدمشقي(ت 1089هـ-1678م) شذرات الذهب في أخبار من ذهب: تح: مصطفى عبد القادر، بيروت، لبنان، (دار الكتب العلمية مج 5، 1985م
8. ابن القفطي، جمال الدين أبي الحسن علي بن الأشرف، (ت 646هـ / 1248م) ، أخبار العلماء بأخبار الحكماء، بيروت، لبنان، دار الآثار، (د-ت)
9. ابن النجار البغدادي، محب الدين ، (ت643هـ/ 1245م)، ذيل تاريخ بغداد، نح: مصطفي عبدالقادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية، ج، (د-ت).
10. ابن النديم، أبو الفرج محمد بن اسحاق (ت 385هـ / 995م)، الفهرست، بيروت، لبنان، دار المعرفة 1398 هـ 1978م
11. ابن جلجل أبي داوود سليمان بن حسان الأندلسي (ت 384هـ / 994م) ، طبقات الأطباء والحكماء، تح: فؤاد رشيد، القاهرة، مصر، (مطبعة المعهد العلمي للآثار الشرقية، 1375هـ / 1955م.
12. ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد (ت808هـ/ 1401م) تاريخ ابن خلدون، العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تح: تركي فرحان، لبنان، (دار إحياء التراث العربي، العلمية، ج 1، 1984.
13. ابن خلكان، احمد بن محمد بن أبي بكر، (ت 681هـ- 1282م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تح: إحسان عباس، بيروت ، لبنان، دار الثقافة، مج9، 1397هـ / 1977م.
14. ابن دقماق إبراهيم ابن محمد، (ت 809هـ / 1406م)، الانتصار لواسطة عقد الأمصار في تاريخ مصر وجغرفيتها، تح: لجنة إحياء التراث العربي، القاهرة، مصر، (دار الآفاق الجديدة، مج4، 1397هـ / 1977م.
15. ابن سعد، محمد، الطبقات الكبرى، تح: على محمد عمر، القاهرة، (مكتبة الخانجي، 2001م.
16. ابن قتيبة ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت 276هـ / 889م) ، عيون الأخبار، بيروت، لبنان، دار الكتاب العربي، مج3، 1373هـ / 1955م.

17. بيرم عبد الحسين، الموسوعة الطبية العربية، بغداد، العراق، (دار القادسية 1406هـ/ 1986م.
18. تغري بردي ، يوسف (ت 874هـ/ 1469م) المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، مج2، (د- ت).
19. خالد ، محمد خالد، رجال حول الرسول ، بيروت لبنان دار مكتبة الحياة، 1420هـ/ 1990م
20. الخطيب، حنيفة، الطب عند العرب، بيروت، (الأهلية للنشر والتوزيع، 1988م.
21. الدفاع، علي عبد الله، أعلام العرب والمسلمين في الطب، بيروت، (مؤسسة الرسالة 1403هـ/ 1983م، ص 27.
22. الذهبي، شمس الدين محمد، (ت748هـ/ 1348م)، سير أعلام النبلاء ، تح: شعيب الأرناؤط محمد نعيم العرقوس، بيروت، (مؤسسة الرسالة)، ج15، 1992.
23. السعيد، عبد الله عبد الرازق، المستشفيات الإسلامية من العصر النبوي إلى العصر العثماني، الأردن، دار ضياء للنشر والتوزيع ، 1987م.
24. سيد الأهل، عبد العزيز، الخليفة الزاهد عمر بن عبد العزيز، بيروت، (دار العلم للملايين، 1397هـ / 1977م.
25. الطبري، محمد بن جرير (ت310هـ/ 923م) تاريخ الأمم والملوك ، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، بيروت، دار التراث، مج2، 1384هـ/ 1964م.
26. عبد الرحمن، حكمت نجيب، دراسات في تاريخ العلوم عند العرب، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، 1405هـ/ 1985م.
27. العليمي، عبدالرحمن بن محمد، الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، العراق، (المطبعة الحيدرية، ج2، 1968م
28. عيسي، احمد ، تاريخ البيمارستانات في الإسلام، بيروت، (دار الرائد العربي، ط2، 1401هـ / 1981م .
29. غوانمة، يوسف درويش ، التاريخ الحضاري الشرق الأردن في العصر المملوكي، الأردن(دار الفكر، ، 1982م، ص 166.
30. غوانمة، يوسف درويش، تاريخ نيابة بيت المقدس في العصر المملوكي، الزرقاء، الأردن، دار الحياة، 1402هـ / 1982م
31. فروغ عمر، تاريخ العلوم عند العرب، بيروت، لبنان، دار العلم للملايين 1397هـ/ 1977م.
32. القرني، أحمد حسين، قصة الطب عند العرب، القاهرة، مصر، الدار القومية الطباعة، 1403هـ / 1983م.
33. الكاند، هلوي، محمد يوسف، حياة الصحابة بيروت، لبنان، دار المعرفة، مج1، 1406هـ / 1986م.
34. كرد، على محمد، خطط الشام، بيروت، (دار العلم للملايين، 1983.
35. كامل، رفاه محمد، بيمارستان ارغون الكامل المملوكي، دار رحمة وشفاء»، السعودية، مجلة الفيصل، ع 277 ، 1959م.
36. المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر، (بيروت، لبنان)، دار الكتب العلمية، مج2، 1418هـ/ 1997م .
37. النووي، محي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف (ت 676هـ/ 1277م)، رياض الصالحين، تح، على عبد الحميد، عمان، الأردن، دار النفائس ، 1412هـ / 1991م.